مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد 39- العدد 2 (2023) 17-32

Damascus university Journal for engineering sciences
Vol 39 No.2 (2023) : 17-32

الهوية البصرية للمدارس الإسلامية وتأثير الحرب عليها حالة دراسية (المدرسة السلطانية في حلب)

م. دانه قهوه جي[1] د. عبير عرقاوي[2]

1 مهندسة معمارية، طالبة ماجستير بقسم نظريات وتاريخ العمارة كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق.

2 أستاذ مساعد، قسم تاريخ ونظريات العمارة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق

الملخص

يتطرق العديد من المعماريين والمؤرخين إلى مفهوم الهوية وارتباطها الوثيق والمتبادل مع التراث العمراني والمعماري، لهذا يسعى المعماريين إلى حماية الأبنية التاريخية الأثرية؛ فمع اندلاع الحرب على سورية ونخص بالذكر مدينة حلب القديمة وعدم الأخذ بعين الاعتبار الهوية التاريخية القديمة أدى إلى ضياع وفقدان التشكيل المميز للمدينة.

يتجه البحث بجانبه النظري إلى شرح بسيط عن المدارس الإسلامية ونشأتها وتطور عمارتها، ومن ثم تعريف للهوية وأنواعها وعناصرها، من خلال التأكيد على ضرورة تطبيقها واحترامها بالشكل الصحيح؛ وإمكانية تطبيق هذه العناصر على نموذج محلي لبيان أهميتها والعوامل المؤثرة على تشكلها، ويليه استعراض للمشهد البصري العمراني المتكامل لهذه العناصر؛ ويلخص البحث إلى ضرورة الانتباه والأخذ بعين الاعتبار تأثير أضرار الحرب على الهوية البصرية باعتبارها العامل الأساسي المساعد في مجال الحفاظ على التراث العمراني والمعماري المميز للمدينة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية البصرية، المدارس الإسلامية، الحرب، حلب.

تاريخ الإيداع:2022/1/3
تاريخ القبول:2022/5/19

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

Visual identity of Islamic schools and the impact of war Case Study (Sultanieyh Madrasa)

Dana Kahwahji[1] Dr. Abeer Arkawi[2]

1Architect and Postgraduate Student, Department of Architecture Theories and History, Faculty of Architecture, Damascus University.

2Assist., Prof., Department of History & Theory of Architecture, Faculty of Architecture, Damascus University.

Abstract

Many architects and historians refer to the concept of identity and the deep relation with the urban and architectural heritage. Therefore, architects seek to protect the historical buildings from demising; With the war on Syria, especially the old city of Aleppo beside the disrespect for the old historical identity and its main cause for losing perceptive skyline of the city.

The research based on the theoretical aspect is directed to a simple explanation of Islamic schools, their origins and the development of their architecture, and a definition of identity, its types and elements, by emphasizing the necessity of applying and respecting them in the correct manner; and the possibility of applying these elements on a local model reflects its importance and the factors that shaped it, followed by a review of the integrated urban visual skyline of these elements; the research summarizes the need to pay attention and consideration effect of war damage on the visual identity as a key factor to help on preservation urban and architectural heritage of the city.

Keywords: Identity, Visual identity, Islamic schools, War, Aleppo.

Received: 3/1/2022
Accepted: 19/52022

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

تعتبر الهوية مدخلاً لعمران وعمارة المجتمع، ومع بداية العصور الإسلامية تعرضت سورية إلى مجموعة من التأثيرات المختلفة التي أدت إلى ظهور هويات معمارية متنوعة التي تتشكل وتتعدل باستمرار مع تطور الزمن، ونتيجةً للفتح الإسلامي في بلاد الشام ظهرت المدارس كنوع من المباني الدينية والدنيوية، مما أسهم في تشكيل نهضة على مختلف الأصعدة.

حملت أبنية المدارس سمات وملامح العصور التي ظهرت فيها، وقد صممت بهوية بصرية مميزة، نتيجة مباشرة للتفاعل مع المكان الذي جاء في هيئة سمة محلية مرتبطة بعمارة المكان.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث نتيجةً إلى قلة الدراسات والأبحاث والوعي حول هذا المفهوم أو الدراسات المبعثرة وغير الشاملة لمعرفة التأثير القوي المباشر والغير مباشر للأثار التي خلفتها الحرب على بناء المدارس الإسلامية. وتكمن أهمية هذه الدراسة كون المدارس الإسلامية تحمل خواص الجامع والمدرسة معاً، وبالإشارة إلى السمات المعمارية والعناصر الهامة والمميزة التي تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الهوية البصرية.

إشكالية البحث:

تتضح إشكالية البحث من خلال التساؤلات التالية:

- ماهي الهوية البصرية وما مدى ارتبطها بتاريخ ونسيج المدينة؟
- هل تعتبر عملية إعادة التأهيل وسيلة صحيحة للحفاظ على الهوية البصرية؟

مفهوم الهوية البصرية:

يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم التي يتعذر إيجاد تعريف واضح ومحدد لها، فلقد أصبح العالم اليوم أكثر انجذاباً أو التكنولوجيا التي جعلت الإنسان يتجه للتكيف مع بيئة مختلفة ومتغيرة، وقد عرفها **الفارابي**[1] بقوله: "هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا: إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك" (محمد عابد،1986،21)، وكما قد عرفها **جوتلوب فريج**[2] بقوله:" يؤكد أن الهوية مفهوم لا يقبل التعريف، وذلك لأن كل تعريف هو هوية بحد ذاته، فالهوية مفهوم وجودي انطولوجي "ontological" يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية، وهو يتمتع بدرجة عالية من العمومية والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الأخرى المتجانسة والمقابلة له، ومع ذلك كله وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه" (راشد، 2000، 2). كما ويعرفها **كيفن لينش**[3] بقوله:" الهوية تتلخص في قدرة الشخص على التعرف على مكان ما نتيجة تفرده عن غيره بصفات وخصائص مميزة. والبيئة التي تعتمد في هويتها على استخدام أو نشاط خاص تكون قوية جداً وهذا لأن المستعملين دائماً ما يشتركون ويتفاعلون مع مثل هذه الأنشطة المتميزة".

إذاً فإن البيئة يكون لها هوية وشخصية خاصة ليس فقط عندما يكون لها القدرة على غرس تميزها البصري في ذاكرة الناس فيتعرفون عليها ولكن أيضاً عندما يكون لديها القدرة التي تجعل الناس يتعرفون عليها من خلال مشاركتهم في استخداماتها أو أنشطتها المختلفة. (Kevin,2010,8)

ويعرف **قاموس التراث الأمريكي** الهوية بأنها " مجموعة من الخصائص التي تعرف الشيء ذاته وتميزه عن أي شيء آخر". (The American Heritage Dictionary of the English Language, 2000,15)

وخلاصةً يُمكن تعريف **الهويَّة البصريَّة للمدينة (The visual identity of the city)** بأنَّها: قدرة

[1] الفارابي هو محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي، تركي الجنسية، ولد في (260هـ-874م)، له العديد من المؤلفات في الشعر والخطابة والفلسفة، توفي عام (950م-339هـ)

[2] فريدريك لودفيج جوتلوب فريج هو فيلسوف ألماني وعالم رياضيات، ولد عام 1848م وتوفي عام 1925م.

[3] كيفن أندرو لينش، مخطط مدن أمريكي ومؤلف، مؤلف العديد من الكتب وأشهرها الصورة الذهنية للمدينة- ولد عام 1918م وتوفي عام 1984م.

الأشخاص على تعرف المكان بمبنى أو بمبانٍ عديدةٍ متميزةً بالشكل، ولها طراز وسمة معينة.

وتعدُّ الهوية من أهم عناصر التّشكل العمراني، إذ **تتأثر به وتؤثر فيه.**

ومن التعريفات والآراء السابقة يمكن استنتاج أن الهوية تنقسم إلى نوعين: (مروة، 2003،16)

أ- الهوية البصرية Visual Identity:

وهي الهوية التي تعتمد على قدرة تعرف الأشخاص على المكان بمبنى أو عدة مباني متميزة عن غيرها في الشكل ولها طراز معين.

ب- الهوية التي تعتمد على الأنشطة والأحداث Activity based Identity:

من الأماكن التي تمتع بهوية معتمدة على الأنشطة والأحداث الأسواق والشوارع التي يمارس الناس بها أنشطة مختلفة ولكن تميزها عن غيرها من الأماكن.

وبذلك فإن الهوية عملية لها أبعاد مختلفة، تتطور مع الزمن وبشكل غير محسوس أو مدرك.

عناصر الهوية البصرية:

تتكّون الهويَّة البصريَّة للمدينة من عددٍ من العناصر التي تعدُّ الأسس التي يتمُّ من خلالها فهم المدينة واستيعابها، وذلك باعتبار أنَّ هذه العناصر ثابتةٌ لأي مدينة مع اختلاف أشكالها وأنماطها باختلاف المدن.

وهذه العناصر تقسم إلى قسمين: الشكل والسطح.

أولاً-الشكل Shape: يمكن أن نعرّف الشكل بأنَّه الكتلة المرئيّة للبناء المتماسك، الذي يحتوي الوظيفة ويجسدها، ويمكن التَّعرف إلى خصائص الشكل من خلال:

- **خط البناء** Building line: وهو حدود المباني على مستوى المسقط الأفقي.
- **الارتفاع** high: أحد أهم ملامح الهوية البصرية، ويقاس من الأرض حتى أعلى المبنى، أو يقدر بعدد الطوابق فيها.
- **الوظيفة** Function: من خلال تحديد استخدام المبنى وانشغاله.
- **الطراز المعماري** Architectural style: يقيس المبنى إلى أي فترة يعود، وهو مرتبط بالتفاصيل الموجودة به.
- **خط السماء Sky line**: الحدُّ الفاصل والمحدد بين نهايات المباني والسماء ويؤثر بشكل كبير في الاستمرارية البصرية.(عطية، 2003،104)
- **ثانياً-السطح Surface**: ويوصف السطح من خلال عدد من العناصر، ومنها المواد والألوان والملمس والتفاصيل والفتحات.
- **المواد Materials**: يجب أن تتلاءم مواد البناء مع وظيفة المبنى العام أو الخاص بشكلٍ يتلاءم مع الظروف المناخية، وتظهر الطبيعة الإنشائيَّة.
- **الملمس Texture**: تعبيرٌ يدل على المظهر الخارجي المميز لأسطح المواد، وملمس السطح يظهر نتيجةً للتفاعل بين الضوء والسطح فيعطي إحساس (الخشونة-النعومة – درجة الصقل)، كما تحدد الأضواء المنعكسة على أسطح المواد الصفات الجسمية للخامة (الصلابة- الليونة-الخفة-الثقل).
- **اللونcolor**: الألوان المتقاربة تخلق روحَ الوحدة المعماريَّة على عكس الألوان المتباعدة، كما يوضح اللون شخصية المواد فكل مادة تتمتع بصفةٍ لونيةٍ مميزةٍ.
- **التفاصيل Details**: إنَّ نوعية التفاصيل كالزخارف مثلاً أكثر أهميَّةً من مواد البناء المستخدمة، كما أنَّ التبسيط المفرط في التفاصيل قد يؤدي إلى السطحية وإلى عمارة بلا تأثير أو هويةٍ.
- **الفتحات Openings**: الفتحات أداة لقراءة اللُّغة المعماريَّة، ومنه فهم الملامح العامة للعمران القائم والتي تشكل ضوابط المحتوى التراثي، تؤثر الفتحات بشكل كبير في لغة العمارة وجمالية المكان، كما أنَّها مفتاح الهوية وعنصر ارتكازه. (رأفت،1996،20)

من هذه العناصر يُمكن تحديد العناصر المشكلة للهوية البصرية التي ستتم دراستها، وإعداد المخططات اللازمة.

الشكل (1) مخطط عناصر الهوية البصرية – [15] بتصرف الباحثة

العوامل المؤثرة على الهوية البصرية:

إن عمارة المدينة الإسلامية هي وليدة التفاعل بين الإنسان بقيمه الروحية والضوابط الاجتماعية لحياته والبيئة من حوله بعناصرها المناخية والمكانية والحضارية بمعناها الواسع، لذلك كانت بمثابة مرآة على مر العصور تعكس عليها كل هذه العوامل. فكان لابد من دراستها وأثرها على تشكيل الهوية البصرية للعمارة الإسلامية. وتقسم هذه العوامل كالتالي:

أولاً– العوامل الثقافية: كالتأثر بالحضارات السابقة للإسلام كالبيزنطية والهلنستية في سورية.

ثانياً– العوامل البيئية: ويقصد بها المناخ ومواد البناء التي أثرت على التكوين السائد، فعلى سبيل المثال يستخدم مواد بناء ماصة للحرارة في المناطق الباردة وسادت الباحات المسقوفة في المناطق الباردة والباحات المكشوفة في المناطق المعتدلة والصحراوية فظهر الصحن أو الباحة في العمارة الحلبية الإسلامية كملطف ومعدل للجو.

ثالثاً– العوامل السياسية: لعبت دوراً كبيراً في تشكيل الهوية البصرية لملامح المدارس حيث كان الحكام تأثير واضح في العمارة. (طريفي وأخرون، 2014،337.354)

إلا أن هناك عوامل أخرى ساهمت أيضاً في اختلاف عمارة المدارس من فترة زمنية لأخرى، كما اختلفت من بلد إلى آخر (كالتأثيرات المحلية المتعلقة بأنظمة البناء ومواد وطرق التسقيف – التأثيرات المتعلقة بالزخرفة والتزيين – التأثيرات المتعلقة بالجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية). (عبد القادر، 1999،99.115)

المباني المميزة للمدينة بصرياً:

يمكن تقسيم المباني المميزة للمدينة بصرياً حسب منهج كوردن كولن[4] في تصنيف المباني التراثية إلى ثلاث فئات:

- المباني ذات الطابع المحلي.
- المباني المميزة بصرياً.
- المباني المهمة في تشكيل الطابع العام.

المباني المميزة بصرياً: المباني المثيره للانتباه والمتميزة في اللون أو الحجم أو التشكيل المعماري، ويمكن من خلالها تكوين الصورة البصرية للمدينة بسهولة.

ويتم الحفاظ عليها بالإبقاء على التشكيل الخارجي لها، مع إمكانية تغيير الداخل تبعاً للاحتياجات الوظيفية. (رانيا إسماعيل، 2006،13)

وبتطبيق المفاهيم والتعاريف السابقة على حالات دراسية كمدارس حلب القديمة، التي تعتبر بأنها أنموذجاً هاماً بالتأثير على تصميم المباني التاريخية. ومنه وجب معرفة نشأة المدارس وتطورها.

نشأة المدارس وتطورها:

عرفت المدارس بعد القرن الرابع الهجري، وكان سبب بنائها مرتبط غالباً بدوافع دينية أو سياسية. بدء بناء المدارس بالعصر، السلجوقي وقد ازدادت مع بداية القرن 5هـ/11م وخصوصاً في دمشق وحلب (أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر ،1978،129)، فكان فيها مدارس للقرآن وللحديث، وللمذاهب الفقهية الأربعة، وللطب وللهندسة، لا سيَّما في عهد السلطانين نور الدين محمود بن زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، حيث بذل كلٍ منهما نشاطاً كبيراً في ازدهار وترميم بناءها وبذلك يعتبر العصر الأيوبي هو العصر الذهبي للمدارس في حلب. (محمد بن أحمد، 2014،205)

استمر بناء المدارس في العصور اللاحقة وتراجع بنائها بالعصر المملوكي بسبب اجتياح هولاكو للمدينة، أما في العصر العثماني فقد ازداد عدد المدارس بشكل قليل نسبياً نظراً لاكتفاء حاجة المدينة بعدد المدارس في العهدين السابقين بُني

[4] توماس كوردن كولن Cordon Cullen مهندس معماري ومصمم مدني بريطاني، ولد في بريطانيا 1914م وتوفي عام 1994م، صاحب كتاب منظر المدينة (Townscape) عام 1961م.

فيه وعلى نطاقٍ واسعٍ مدارس حكوميَّة على النظام الحديث، وكانت على أنواعٍ منها المدارس الحكوميَّة وعددها (5) بين ابتدائية ورشدية، وبين إعدادية ودار معلمين. والمدارس التَّبشيريّة التي بنتها الإرساليّات الأجنبيّة، وعددها مدرستان عدا المدارس المنشأة في الدور أو أماكن مجهولة، والمكاتب الابتدائية التي افتتحت في الجوامع والمساجد، والمدارس الوطنيّة التي أنشأها المواطنون في الدور.

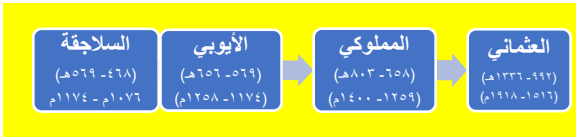

الشكل (2) مخطط زمني للعصور الإسلامية –الباحثة

واقتصر ميزات هذا العصر على كثرة الزخارف والترف السمة الأكبر لهذا العصر. إن استلام الأوقاف في تلك الفترة جعلها الأساس بتثبيت أركانها ودعمت نظامها ومكنتها من أداء رسالتها. (لمياء، 2000، 551 _ 558).

توالت العصور الإسلامية على المدارس ويمكن اختصارها وفق المخطط الزمني الآتي:

المدرسة مصطلح علمي نتجَ عن تطور عمارة المباني السابقة نتيجةً لتطور العهود الإسلاميَّة واختلاف الحاجة لهذه المباني، الآتي شكل يوضح تطوّر هذا المفهوم:

الشكل (3) مخطط تطور عمارة المدارس الإسلامية –الباحثة

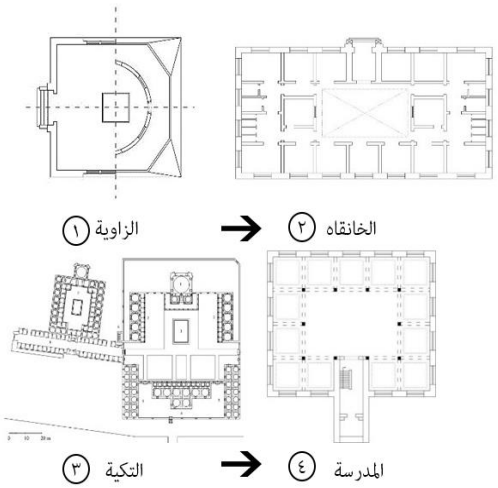

الصورة (1) تطور مساقط عمارة المدارس الإسلامية –الباحثة

نلاحظ بدايةً الزاوية (Small Mosque) بالعهد المملوكي هي عبارةٌ عن مسجد صغير ليس فيه منبر ولا مئذنة، وتتكون عمارتها من 3 أقسام (القبة – رواق الزوار–بيوت السكن) ومن ثم الخانقاه (Khanqa) التي عرفت بالعهد الأيوبي والمملوكي ولكن انتشرت بالمملوكي وهي عبارةٌ عن تحول الزاوية من مهمتها التَّعليميَّة إلى مركز لأصحاب الطرق وحافظت على عمارتها المكونة من 3 أقسام ولا تحتوي على مئذنة (رزق،2000،128)، وبعدها بالعهد العثماني تطور عمارتها إلى التكية حيث لا تحتوي على مئذنة وضمت عمارتها الأقسام التالية: (المدخل–القبلية–الرواق–الصحن السماوي–البحرة–الغرف–المئذنة–المدفن–الحديقة) (رزق،2000،75)، تكاملت عمارتها في العهد الأيوبي فأصبحت تشبه في عمارتها عمارة المسجد، إلا أنَّها لا تحتوي على مئذنة ولا منبر، وهي عبارةٌ عن صحنٍ مكشوفٍ أو مغطى تحيط به إيوانات للدرس بقدر عدد المذاهب التي خصصت لتدريسها، ومؤلفة من الطابق الأرضي لأداء الأذكار والصلاة والطابق الأول لسكن الأساتذة والطلاب، ويُمكن أن تزيد طابقاً بحسب عدد طلابها وأساتذتها.(رزق،2000،271)

ويجدر الإشارة إلى أنه قد يقل أو يزيد حجم كل فراغ حسب العصر الذي بنيت فيه والحاجة منه. (لمياء، 200،252)

إن عدد المدارس يزداد حسب العصر الذي بنيت به. فيمكن إجمال عدد المدارس بالمخطط التالي:

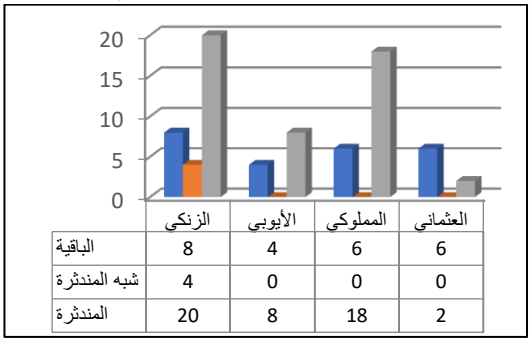

	الزنكي	الأيوبي	المملوكي	العثماني
الباقية	8	4	6	6
شبه المندثرة	4	0	0	0
المندثرة	20	8	18	2

الشكل (4) مخطط عدد المدارس في حلب–الباحثة

بلغ عدد المدارس الباقية نتيجة تدهور بعضها بفعل الظروف الطبيعية إلى يومنا هذا 17 مدرسة تقع ضمن حدود المدينة القديمة وتتنوع بطرازها حيث يمكن إجمالها إلى (1 سلجوقي–4 زنكي – 3 أيوبي – 3 مملوكي – 6عثماني) (سبد ابن العجمي الحلبي،1997،1121)

وسيتم دراسة نموذج عن المدارس الأيوبية الباقية في حلب وهي **المدرسة السلطانية**. لأنها تعد مثالاً على خصائص هذه العمارة، حيث كانت تعتبر أول مدرسة أيوبية بنيت ضمن هذا العهد.

النموذج الدراسي:

المدرسة السلطانية (النموذج الدراسي):

الصورة (2) المدرسة السلطانية بحلب– [9]

1) **تاريخ البناء:** حوالي عام 1223م/620هـ.
2) **طراز المبنى:** يعود إلى العهد الأيوبي.
3) **المؤسس:** الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي
4) **الموقع:** مقابل المدخل الرئيسي لقلعة حلب من الجهة الجنوبية. (عبد الله،147،2010)

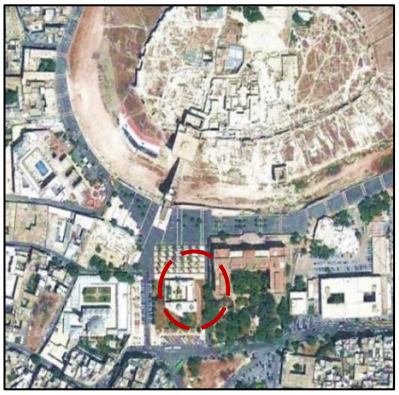

الصورة(3) موقع المدرسة السلطانية [9]

5) **المسقط:** اعتمد التناظر في تخطيطها، تم التركيز بشكل خاص على المدخل، والقبلية، والمدفن. اعتمدت البساطة والمتانة في البناء–القبلية مكونة من ثلاث مجازات ومفتوحة على الصحن، يوجد غرفتين على طرفي القبلية، أحدهما المدفن في الشرق. أنشئت غرف المجاورين على طابقين شرق وغرب الباحة. (لمياء،2000،193)

الصورة (4) مسقط المدرسة السلطانية [6] –تصرف الباحث

6) اللمحة التاريخية:

- عام 1233م / 620هـ تم الانتهاء من بناء المدرسة من قبل الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي (عز الدين محمد،1953،117)، وكانت مخصصة للمذهبين الشافعي والحنفي.
- عام 1438م / 842هـ تم تعرض حائط المدرسة إلى ضرر نتيجةً لخروج تغري برمش نائب حلب عن طاعة الظاهر سيف الدين جقمق فتم رميها بالحجارة من القلعة. (سبط ابن العجمي الحلبي، 1997،295.299)
- عام 1469م / 874هـ خضعت المدرسة لأعمال الترميم في العهد المملوكي وأضيفت المئذنة ورممت الأجزاء العليا من الجدران بحجارة صغيرة.
- عام 1821م / 1227هـ تعرضت المدرسة لزلزال حلب.
- عام 1883م / 1302هـ رمم جدار القبلية أيام جميل باشا. (محمد راغب،1950،96)

- عام 1921م / 1340هـ رممت (5) غرف للمجاورين على طرفي المدخل، تم تعمير الحائط الشرقي بعد أن كان خراباً وأصلح الدرج الخارجي المؤدي إلى المدرسة.
- عام 1944م أزيلت الأتربة المتراكمة فيها نتيجةً لإجراء تنقيبات واسعة للمدرسة. (محمد راغب، 1950،182)
- عام 1979م أنشئت غرفة كبيرة شرق الصحن وأخرى علوية شمال الصحن مع درج يؤدي إليها.
- عام 2014/7/12م تعرضت المدرسة للتفجير الأول أصابتها بأضرار كبيرة.
- عام 2017م تعرضت المدرسة للتفجير الثاني وبقي منها المئذنة فقط.
- عام 2021 بقيت المدرسة كما هي ركام.

تم وضع مخطط بياني يوضح تقييماً بنسبة مئوية عن حالة البناء مع توالي الأعوام عليها بدءاً من التأسيس والإنشاء حتى الوضع الراهن معتمدةً الباحثة في التقييم على آراء وتقييمات الباحثين التاريخين والزيارات الميدانية للمدينة استناداً إلى تقرير الأضرار بمنظمة اليونيسكو ومشروع توثيق الإرث الحضاري السوري.

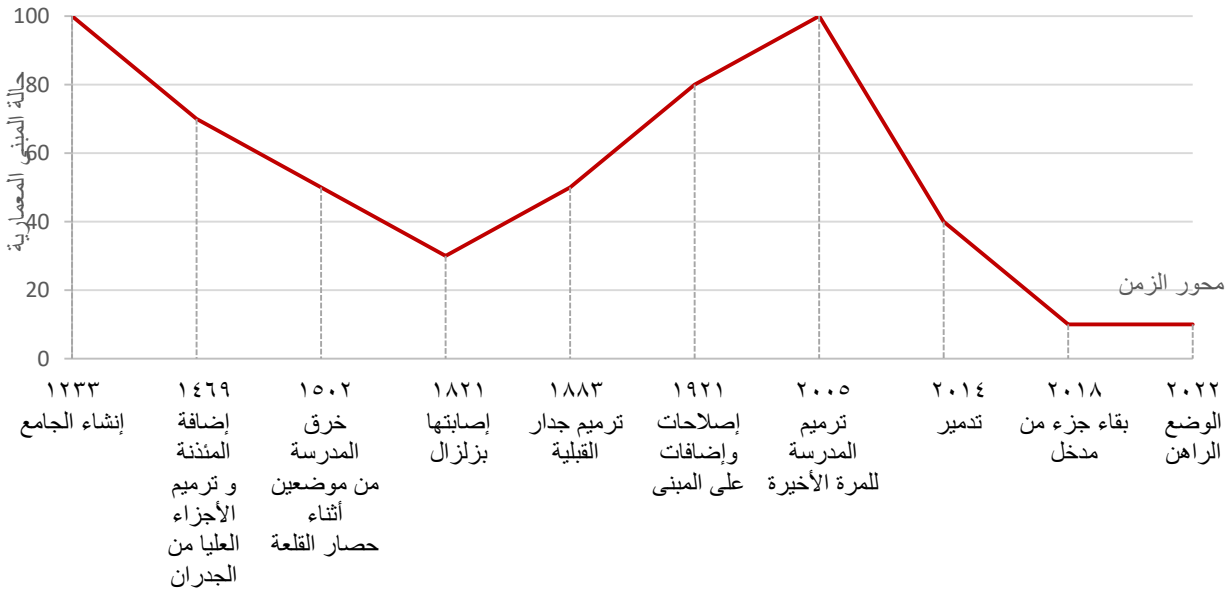

الشكل (5) مخطط بياني للتسلسل الزمني لأحداث المدرسة السلطانية –إعداد الباحثة

تقييم حالة المدرسة السلطانية:

إن أهمية المدرسة السلطانية التي تقع ضمن محور محيط القلعة تتلخص بما تحمله من القيم كالتفرد والندرة والقيم التاريخية والاجتماعية .. تم توضيحها بشكل مختصر بالجدول التالي:

الجدول (1) عناصر الهوية البصرية-إعداد الباحثة

القيمة التاريخية	القيمة المعمارية والجمالية	القيمة الدينية	تجانس الموقع وأهميته	التفرد والندرة	القيمة السياسية	القيمة السياحية	الحالة الفيزيائية
بنيت نسبةً إلى السلطان غازي ابن صلاح الدين الأيوبي ودفن بداخلها.	اعتمد التناظر والبساطة في تخطيطها. تمتاز بمحرابها الرائع وبناء منارتها القصيرة فوق مدخلها مباشرة.	كانت تقوم على تعليم الدين وانتشاره	تقع أمام المدخل الرئيسي لقلعة حلب.	واحدة من أهم المباني التي بنيت على مميزات العمارة الأيوبية.	–	–	تم تفجيره في 2014/7/12. -حالته الفيزيائية سيئة فالمبنى متهدم بشكل شبه كامل.

الهوية البصرية للمدرسة السلطانية:

بعد إطلاع الباحثة على العديد من المصادر والمراجع والزيارات الميدانية للمدينة، تمكنت الباحثة من تلخيص عناصر الهوية البصرية للمدرسة من خلال الجدول التالي:

الشكل			
خط البناء والتكوين		خط السماء	
المسقط المعماري	الشكل الخارجي غير منتظم أقرب للمربع وهو متناظر بالنسبة لمحور يمر من مركزي البوابة والمحراب	مادة البناء	الحجر
الفناء	نسبة %25 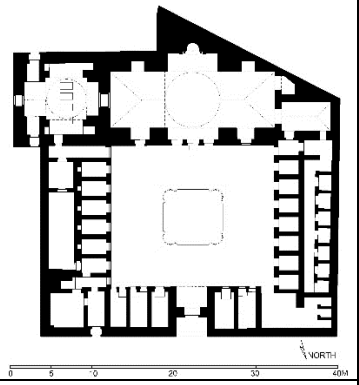	شكل السقف ومادة البناء	السقف مستوٍ مع تدرج هرمي بارتفاعات الفراغات بالإضافة إلى المئذنة وقبة القبلية
الانفتاح	نحو الداخل		
الارتفاع	طابقين		

السطح					
المواد / الملمس / الألوان	الحجر / خشن / هادئة ذو تناسق لوني				
التفاصيل المعمارية	الفتحات				
	المظلات والأكشاك	النوافذ	المداخل	الأبواب	
عنصر مميز للتكوين					
المحراب ذو تناوب اللوني	المئذنة ذو مقرنصات	مظلة خشبية مثمنة للمئذنة	خالية من النوافذ الخارجية إلا نافذة مستطيلة صغيرة هي واجهة المدفن يعلوها شريط من النقوش الكتابية، أما النوافذ الداخلية فهي فتحات قوسية خالية من الزخارف من درفتين	مدخل قوسي مدبب يعلوه إفريز عليه نص كتابي، ويتوسطه باب خشبي يعلوه نجفة عليها نص تاريخي يلتف على جدرانها الثلاثة وعلى جدار المدخل لافتة عن تاريخ البناء	الباب الخارجي خشبي منقوش بزخارف هندسية، أما الأبواب الداخلية فهي ذات شكل قوسي من الخشب والزجاج ذي درفتين
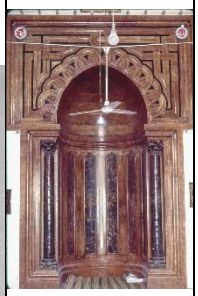	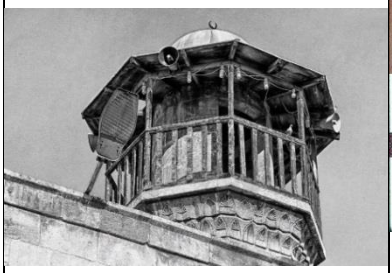				

9) تقييم حالة الأضرار على المدرسة:

أدت الهجمات الحاصلة على المدرسة نتيجة الحرب إلى تخريب ودمار بنسبة 70% يوم 2014/7/12م، وفي عام 2017م تعرضت المدرسة للتفجير الثاني بنسبة 90% وبقي منها المئذنة.

تأذت المدرسة من اتجاهات مختلفة من القشرة الخارجية للجدران للأسقف والمئذنة وغيرها ويمكن تحديد الأضرار حسب الوضع الراهن كالتالي:

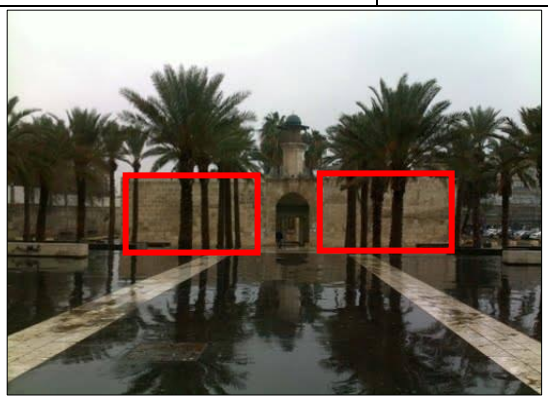

الجدول رقم (3) أضرار المدرسة- إعداد الباحثة

	جدران	أرضيات	أسقف	مئذنة	عناصر مميزة
نسبة الضرر	%100	%100	%100	%50	%90
مجموع	%90				

الصورة (5) أضرار ضمن المدرسة السلطانية–عدسة الباحثة2018 –بتصرف الباحثة

نلاحظ أنه تم تدمير معظم عناصر الهوية البصرية المكونة للمدرسة والتي تم توضيحها من خلال الصور ولم يتبقى إلى آثار بسيطة جداً.

وبالتالي غابت الملامح الأثرية للمدرسة وتبقى جزء وحيد متضرر من المدخل مع المئذنة (عناصر تكوينات معمارية) فقط، والذي يستدعي بعمليات إعادة التأهيل ترميمه وإعادة بنائه وفقاً للاتجاه المطلوب.

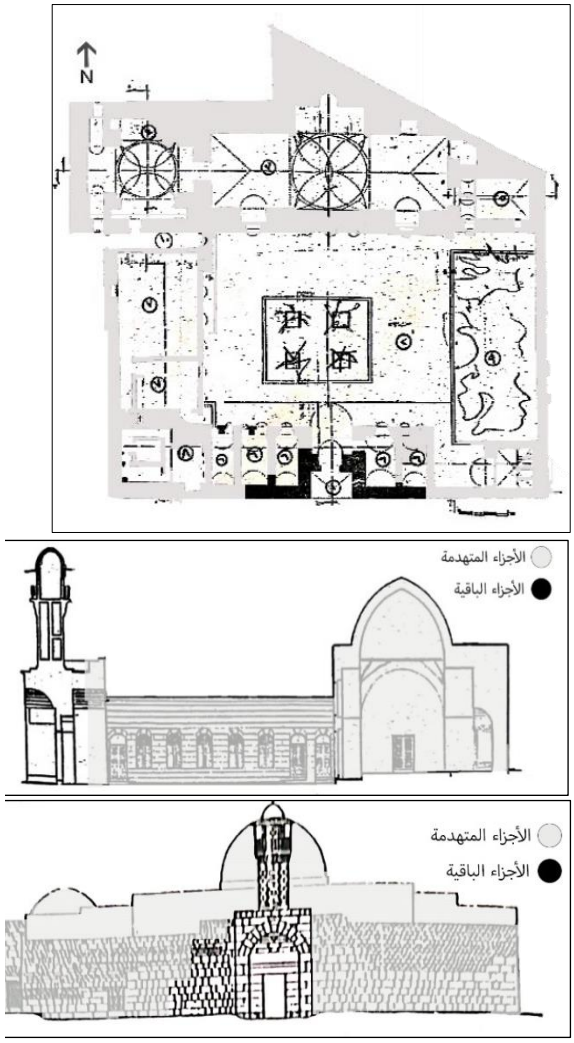

الصورة رقم (6) مسقط وواجهات المدرسة السلطانية بعد الحرب[6] – بتصرف الباحثة

9) تطور المشهد البصري للمدرسة السلطانية:

حوالي عام 1235م ابتداء مدينة حلب بالتشكل العمراني حول محيط القلعة، بني بالبداية المدرسة السلطانية بدون أية تفاصيل معمارية (المئذنة) وبذلك تعتبر أول المباني الدينية التي تم بنائها. (أحمد بن علي، 1349، 355)

حوالي عام 1550م بنيت المدرسة الخسروية، وضمت كلاً من المدرسة السلطانية والخسروية كافة عناصر الهوية البصرية سواء داخلياً أو خارجياً وظهر ذلك جلياً وواضحاً من خلال التفاصيل المعمارية الخارجية (المئذنة–القبب)

مكونـــةً بـــذلك خـــط الســـماء الخـــاص بهـــا. (عبد الله،2010،154)

حوالي عام 1882م حصل زلزال حلب الذي دمر على أثره المدرسة السلطانية فنلاحظ بذلك تغير خط السماء الخاص بالمحيط والشعور بخلل في المحيط. (محمد راغب،1950،126)

حـوالي عـام 1930م بعـد إعـادة بنـاء المدرسـة السلطانية كما كانت طبق الأصل بكافة تفاصيلها وبنـاء المبـاني المحيطـة (السـرايا القـديم–القصـر العدلي).

نلاحظ الإضافة التي تمت على خط السماء وبذلك تكاملت الهوية البصرية بالنسبة للمدخل الجنوبي لقلعة حلب.

حوالي عام 2014 م نتيجة الحرب التي حصلت دمر العديد من المباني بنسبة ضرر مختلفة ومنها المدرسة السلطانية؛ فنتج عن ذلك فقدان واختلاف خط السماء وبالتالي زوال الهوية البصرية المكونة لتراث مدينة حلب القديمة.

– عام 2019-2020 م بعد انتهاء الحرب بقي المحيط محتوياً نسبة دمار كبيرة جداً في المباني التاريخية فقد خسر نتائج تراث مدينة حلب.

الصور رقم (6) المدرسة السلطانية ضمن المحيط العمراني–الباحثة

وبـذلك يمكـن اسـتنتاج المخطـط التـالي لتطـور المدرسة السلطانية ضمن المحيط العمراني:

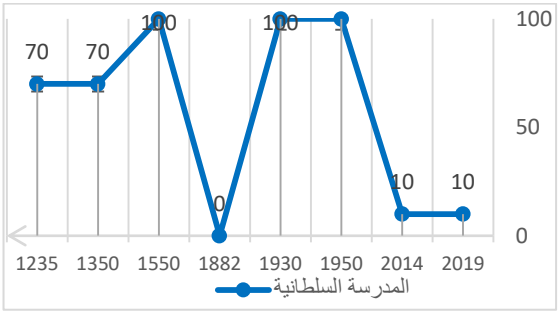

الشكل رقم (6) مخطط التطور العمراني للمدرسة السلطانية –الباحثة

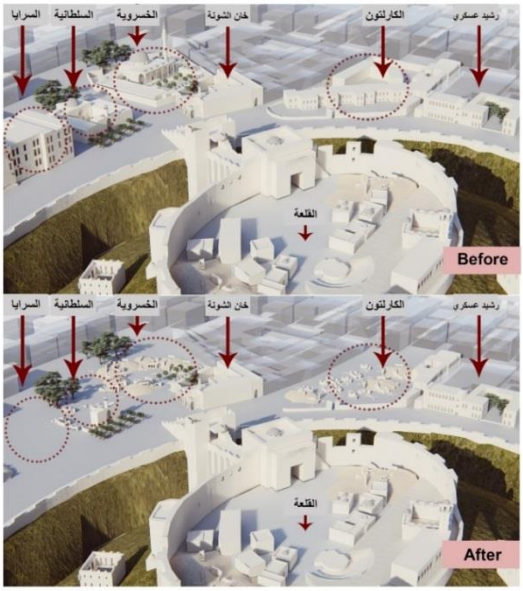

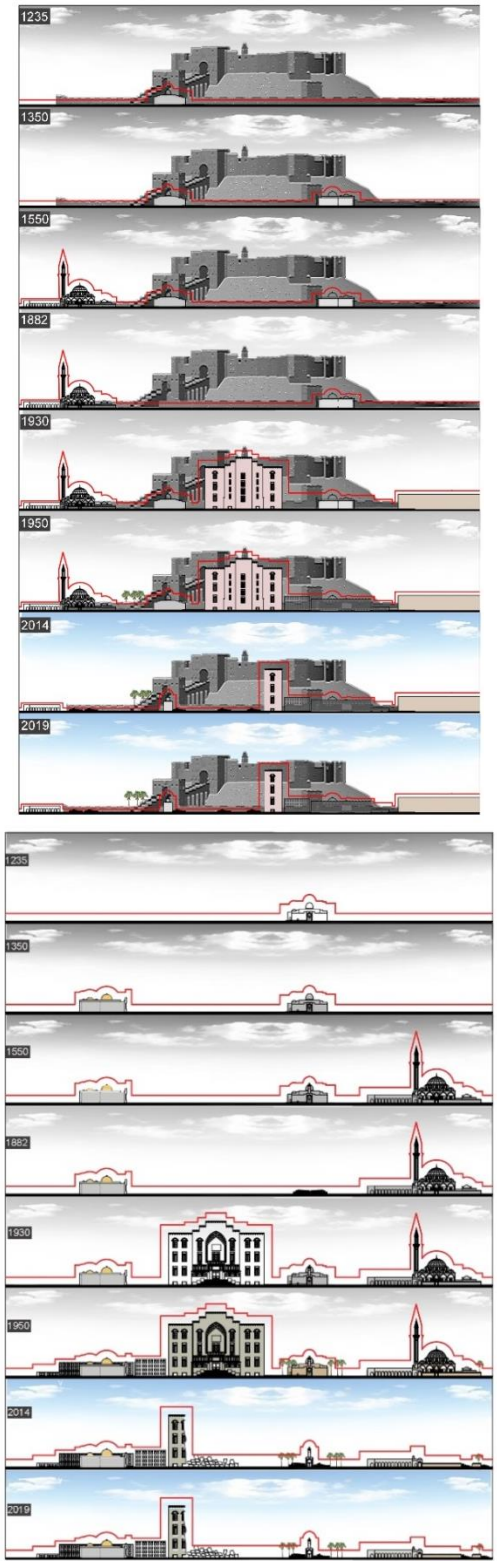

الصور (7) المدرسة السلطانية ضمن المحيط العمراني- إعداد الباحثة

النتائج:

المدرسة كانت ولا تزال من أشد المؤسسات ارتباطاً بنواحي الحياة المتعددة، حيث تتعلق بتاريخ المدينة عبر حقبة زمنية طويلة وما أحاط بها من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وكوارث، إن الحرب على محور محيط القلعة سبب دماراً كلياً أو جزئياً على عدة مباني تاريخية أثرية خلفت أثارها ضرراً وزولاً لعناصر الهوية البصرية سواء المعمارية أو الجمالية وغيرها.

توصل البحث من خلال الدراسة التحليلية التفصيلية وتحديد مستوى الضرر الذي تم توثيقه إلى وجود منهجية صحيحة وسليمة لإعادة تأهيل وترميم هذه المدرسة كما كنت طبق الأصل (إعادة بناء).

استناداً إلى عناصر الهوية الخاصة بها بعيداً عن أية مفاهيم واشتراطات معينة.

ويُمكن القول بإنَّ الهوية البصرية تضررت بحلب وليس فقط المباني التراثية المعمارية؛ بل مجموعة المباني، المدارس بتنوع طرزها وفتراتها الزمنية كان لها نوع من الأهمية الكبيرة بسبب أنها كانت عمارة واحدة (مدرسة وجامع معاً) وهي عمارة يصعب الفصل بينهما.

أخذت بنية المدارس حجماً ومكاناً مميزاً في محيط المدينة، وأصبحت جزءاً من هوية المدينة على تتالي عدة قرون، لذلك فإن عملية إعادة التأهيل للمباني المتضررة يجب إعادة تأهيل للمدارس الإسلامية بحيث لا يمكن تصوّر مدينة حلب ومحيط القلعة، خاصةً دون هذه المدارس فهي أصبحت هوية أساسية وجوهرية.

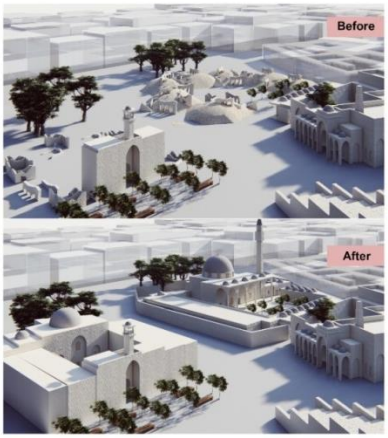

الصور (8): إعادة بناء المدرسة السلطانية –إعداد الباحثة

التوصيات:

يوصي البحث ب:

- إن الهدف من إعادة بناء المدرسة السلطانية كما كانت طبق الأصل بالاستفادة من المخططات والوثائق التاريخية هو إعادة الهوية والصورة البصرية العمرانية العامة للمدينة كما كانت مع ترك أثر للدمار الناتج عن الحرب بهدف المحافظة على انتماء الأجيال القادمة لمدينتهم وبلدهم ذات التاريخ العريق.
- التأكيد على أهمية المدارس الإسلامية كمباني دينية تلعب دوراً هاماً في تشكيل الهوية البصرية للمحيط العمراني وبالتالي يعتبر البناء رمز بحد ذاته مشكلاً بذلك تراث وهوية وتاريخ المدينة القديمة.
- ضرورة إعادة تأهيل وترميم الأثار التي خلفت الحرب لأنها جعلت هذه المباني التاريخية الهامة مباني مهدمة ومهجورة.
- أهمية العناصر المعمارية في تصميم المدرسة الإسلامية. وكيف أن أي عنصر يسهم وبشكل كبير في زيادة أهمية وقيمة المبنى الأثرية.
- الهوية البصرية **لا تتشكل فجأة** وإنما تتطور حيث يقوم هذا التطور على حل مشاكل الوضع الراهن وتلبيةً لاحتياجات المجتمع المحلي، وإن التغير الحاصل على خط السماء في محيط قلعة حلب دعا للحاجة الماسة إلى التدخل السريع للحفاظ على ماتبقي من المباني الأثرية وإعادة تأهيل وترميم المباني المتضررة والمدمرة.
- تكمن أهمية المدارس الإسلامية كونها جزء لا يتجزأ من عمارة وعمران وتراث المدينة وأن دمار هذا المبنى بمايحتويه من عناصر بصرية مميزة ساهم في إلغاء وزعزعة هوية وتراث المدينة.
- المشكلة الأكبر في الحالة الدراسية هي عدم الاهتمام للحاجة ترميم وإعادة تأهيل هذا النوع من المباني التاريخية الهامة.
- ضرورة مراعاة القوانين العامة للبناء والتأكد من أنها منسجمة مع نهج الحفاظ على التراث المعماري والعمراني في سعيها لضمان استمرارية الهوية البصرية للأبنية التاريخية.
- تعزيز الاهتمام والانتباه لمفردات الهوية البصرية وإيجاد آلية واضحة لتطبيق هذه العناصر بالشكل الصحيح.
- الاهتمام بالعناصر المكونة للهوية من خلال إجراء مسابقات تشجع العمل على توعية ونشر ثقافة الاهتمام بالحفاظ على التراث المعماري والعمراني وبالنتيجة الحفاظ على التكوين العام المميز للمدينة.

المراجع Reference

1. ابن حجر، أحمد بن علي. (1349). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ج2. دائرة المعارف العثمانية.
2. ابن شداد، عز الدين محمد. (1991). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. الطبعة الأولى، 3 مجلدات، سوريا: منشورات وزارة الثقافة.
3. أبو ذر الحلبي، موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد. (1927). نظام العقيان في أعيان الأعيان. الطبعة الأولى، 3مجلدات، بيروت: المطبعة السورية الأمريكية –نيويورك / المكتبة العلمية.
4. التميمي، علي صبيح. (2016). القهر ومشروعية سلطة الدولة. (ط.1). عمان: دار أمجد للنشر والتوزيع.
5. الجابري، محمد عابد. (1986). الموسوعة الفلسفية العربية. (ط.1). بيروت: معهد الإنماء العربي.
6. الجاسر، لمياء. (2000). مدارس حلب الأثرية تاريخها وعمارتها. حلب: دار الرضوان.
7. الدهدار، ناهض حمودة. (2010). أثر الحروب في إعادة تشكيل المباني ذات القيمة. رسالة ماجستير. جامعة عين شمس، القاهرة.
8. الريحاوي، عبد القادر. (1999). العمارة الدينية الإسلامية وخصائصها وآثارها في سورية. (ط.2). سوريا: دار البشائر للطباعة والنشر.
9. الطباخ، محمد راغب. (1988). إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. الطبعة الثانية، 7 مجلدات مع مجلد خاص بالفهارس، حلب: دار القلم العربي.
10. الغزي، كامل البالي الحلبي. (1991). نهر الذهب في تاريخ حلب. 3 مجلدات، حلب: المطبعة المارونية.
11. النعيمي، عبد القادر. (2014). الدارس في تاريخ المدارس. دمشق: وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
12. أحمد، رانيا إسماعيل. (2006). تكنولوجيا الترميم الحديثة آلية لاستمرار حياة المباني التراثية. رسالة ماجستير. جامعة القاهرة.
13. حجار، عبد الله. (2010). معالم حلب الأثرية (ط3)، حلب: عبد الله حجار.
14. رأفت، علي. (1996). ثلاثية الإبداع المعماري (ط1). مصر.
15. صارم، وفاء بدر. (2009). المدارس المملوكية في حلب. رسالة دكتوراة. جامعة تونس، تونس.
16. طلس، محمد أسعد. (1956). الأثار الإسلامية والتاريخية في حلب. دمشق: مديرية الاثار العامة في سوريا.
17. عبد الحق، معاذ، عادل. خالد. (1950). مشاهد حلب الأثرية. حلب: مديرية الأثار العامة، مطبعة الترقي.
18. عطية، أحمد خلف. (2003). التصميم المستدام في المناطق التراثية وذات القيمة. مصر: جامعة القاهرة.

19. عماشة، راشد، شتا. مديحة. حامد. أحمد يحيى. (2000). الهوية كمدخل لاستدامة العمران في ضوء شراكة المجتمع. القاهرة.

20. محمد عثمان، مروة. (2003). مفهوم الهوية البصرية في العمارة والعمران دراسة تحليلية للعناصر المؤثرة في شخصية المكان، رسالة ماجستير. كلية الهندسة المعمارية. جامعة القاهرة. القاهرة.

21. نتيفه، منون، طريفي. رولا. محمد دلال. (2014، 7أغسطس). التأثيرات المحلية في طابع أبنية مدارس العصور الإسلامية في سورية. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية.4، ص337–354.

22. ياغي، غزوان مصطفى. (2011). المعالم الأثرية للحضارة الإسلامية في سورية. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة– إيسيسكو. الرباط: المملكة المغربية.

23. Lynch, Kevin. The Image of the city. (2010). Georgia Institute of Technology, USA

24. The American Heritage Dictionary of the English Language, Fourth Edition. 2000

25. زيارة لمنطقة البحث بتاريخ 2018/11/8 إلى 2018/11/11 بحضور كلٍ من الدكتور خير الدين الرفاعي رئيس لجنة التراث المركزية في نقابة المهندسين السورين وأيضاً رئيس لجنة تراث حلب والمهندس محمود سيكت رئيس لجنة السلامة العامة في المدينة القديمة للمنطقة السادسة وأيضاً عضو في لجنة التراث نقابة مهندسين حلب.